زيارة ميدانية للقدس:

تدريب حول العنف الزوجي

د. مأمون مبيض

لقد زرت بين 28-31 /7/ 2005 "مؤسسة برامج الطفولة المبكرة والعمل الجماهيري" والتي مركزها مدينة القدس الشريف في الضفة الغربية ، لتدريب طاقم العاملين والعاملات في هذه المؤسسة على كيفية التعامل مع ظاهرة العنف الأسري وبشكل خاص العنف الزوجي . وقد تمكنا في هذه الزيارة من التعرف الميداني على بعض الأوضاع من خلال زيارة القدس ويافا وعكا وحيفا ، وكذلك تقديم محاضرة عن "تدريب الأبوة" في كليّة أكاديمية القاسمي للتربية في مدينة الباقة الغربية حيث استضافنا فيها الأستاذ شريف مصاروة .

مؤسسة برامج الطفولة المبكرة :

"مؤسسة برامج الطفولة المبكرة والعمل الجماهيري" مؤسسة غير حكومية تنشط منذ عام 1984 حيث تخدم شرائح متعددة من المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية وداخل ما يسمى الخط الأخضر . وتقدم هذه المؤسسة برامج مفيدة للأطفال والشابات من الفتيات والأمهات وخاصة الذين يعيشون في المناطق المهمشة من المجتمع .

ولدى هذه المؤسسة ما يقارب الأربعون من المتطوعين والموظفين وهم الغالبية ، ويرأس المؤسسة السيد فريد أبو غوش الأخصائي في العمل الاجتماعي .

وتعرّف المؤسسة نفسها بأنها مؤسسة تطويرية غير سياسية وغير دينية ، وتهدف في رسالتها الأساسية إلى :

1- المساهمة الفعالة في الحفاظ على الهوية الفلسطينية وتطورها

2- تحسين ظروف معيشة الفلسطينيين
3- تقوية الشخصية الاجتماعية من خلال التأهيل والتمكين الاجتماعي

وتحدد المؤسسة من أهدافها الأمور الآتية :

1- دعم تطور البنية التحتية والخدمات الاجتماعية
2- تشجيع عمليات تأهيل وتمكين الأفراد والأسر والتجمعات المختلفة
3- تقديم أساس سليم لتطور الأطفال والنساء
4- تطوير شبكة للتواصل بين الأفراد والمنظمات المتشابهة بالقيم والأهداف
5- تعزيز المهارات القيادية

وتقوم المؤسسة حالياً على عدد من البرامج والمشاريع ومنها :

1- برنامج تدريب الأم للأم : حيث تقوم سيدات متدرّبات بتدريب أمهات الأطفال الصغار الذين هم دون الثالثة من العمر . ويتوزع هذا البرنامج في ثمان مناطق في القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة . وقد تمّ الاتصال بما يزيد عن ستمائة أسرة .

2- برنامج تدريب الشابات : حيث يهدف البرنامج لزيادة وعي الفتيات بأنفسهن وخاصة الفتيات أو السيدات المهمّشات في المجتمع ، وتطوير قدراتهن القيادية ، وتقوية ثقتهن بأنفسهن ، ليتمكنّ من القيام بدور إيجابي في المجتمع . ويسير هذا البرنامج في القدس الشرقية ومدينة رام الله . وقدّ درّب حتى الآن أكثر من ثلاثين فتاة .

3- إعداد وتمكين السيدات : ويقدم هذا البرنامج في أكثر من أربعين مركزاً في عديد من المناطق المختلفة ، ويهدف لدعم النساء ليصبحن مؤهلات وقادرات على المساهمة في تطوير مجتمعاتهن . وهناك أنواعاً مختلفة لهذا البرنامج إلا أنها تهدف كلها لتمكين المرأة وإعدادها .

4- برنامج تدريب المعلمات : حيث تـُدرس مهارات الإشراف على روضات الحضانة للمعلمات غير المهنيات أو المتدربات . ويقدم البرنامج في

القدس الشرقية والنقب ورام الله والرملة وأم الفحم . ويدرّب كل عام ما يقارب مائة وخمس عشرة معلمة .

5- برنامج إلعب وتعلم : للوقاية من خروج التلاميذ من مدارسهم قبل نهاية المرحلة التعليمية . ويقدم هذا البرنامج في كل عام لأكثر من مائتي تلميذ في مدينة القدس .

6- برنامج الوقاية من الزواج المبكر جداً : بسبب الضغوط والأعباء الاقتصادية والاجتماعية فإن هناك زيادة ملحوظة في معدلات الزواج المبكر جداً للفتيات ، وبما لذلك من آثار ضارة على كل المعنيين . ويهدف هذا البرنامج لتغيير هذه التوجه عن طريق تمكين الأسر المعرضة للخطر .

ظاهرة العنف الأسري/ الزوجي :

ينتشر العنف الأسري أو وبشكل محدد العنف الزوجي في كل المجتمعات ، مسبباً بذلك العديد من الآثار السلبية المرضية . وتشير بعض الدراسات ازدياد انتشار العنف الزوجي في المجتمعات المعرضة للصراعات والنـــزاعات المسلحة ، حيث ينتشر استعمال العنف كوسيلة لتحقيق السيطرة أو بعض المصالح . وقد يؤدي التفكك الاجتماعي بسبب النـــزاعات والصراعات للمزيد من حالات العنف الأسري أو الزوجي .

وهناك دراسات تشير لنسبة عالية تصل إلى ثلث النساء (37 %) ممن تعرضّن لأنواع من العنف الزوجي كالضرب أو الصفع أو الرفس أو غيرها من أنواع الأذى الجسدي .

ويمكن أن يحدث العنف الزوجي في كل الطبقات الاجتماعية وبغض النظر عن درجة الغنى أو الفقر .

وتنتشر عن العنف الزوجي بعض الخرافات غير الصحيحة ومنها مثلاً :

- ✓ لا يحدث العنف الزوجي إلا نادرا
- ✓ لا يحدث إلا عند الفقراء

- ✓ الزواج أمر خاص وليس لأحد التدخل
- ✓ إذا لم ترتح الزوجة فيمكنها المغادرة
- ✓ لا يستطيع المعتدي ضبط غضبه
- ✓ تثير المرأة بسلوكها العنف ضدها
- ✓ الأوضاع الأسرية هي سبب العنف

بينما في الواقع فإن الحقائق مخالفة لهذه الخرافات تماماً ومن هذه الحقائق :

- ✓ العنف الزوجي أكثر انتشاراً مما يظنه الناس
- ✓ قد يوجد في كل طبقات المجتمع
- ✓ الاعتداء هو هو عمل إجرامي
- ✓ يمكن لمعظم الرجال ضبط أعمال عنفهم
- ✓ لا يوجد ما يبرر هذا العنف
- ✓ لا أحد يستحق هذا العنف
- ✓ كثير من المعتدين ليسوا تحت تأثير الخمر
- ✓ العنف الأسري لا يعرف حدوداً معينة
- ✓ إذا لم تستنجد التضحية فهي تعرض أولادها أيضاً للامتهان
- ✓ يمكن أن يقوم أولاد الضحية بالاعتداء (دورة العنف)
- ✓ يمكن للعنف والامتهان أن ينتقل من جيل لآخر
- ✓ يزداد العنف سوءاً مع مرور الوقت
- ✓ هناك مراحل من"شهر العسل"
- ✓ يؤثر العنف الأسري في كثير من الأفراد (كامل الأسرة)
- ✓ يؤثر العنف الأسري في الأولاد أيضاً فيقبلونه كشيء طبيعي
- ✓ يمكن للمعتدي أن يتغيّر إن هو أراد ذلك

ورشات العمل التدريبية :

لقد شارك معظم موظفي المؤسسة وبعض المتطوعين في هذا التدريب على مدار أربعة أيام ، خصص يومان منها للعنف الزوجي ، واليومين الباقيين لموضوع التحرش الجنسي (والذي لم يذكر بالتفصيل في هذا المقال) . وقد جاء المشاركون لمكان عقد ورشات العمل في القدس الشرقية من عدة مدن كالقدس وما جاورها من بلدات وقرى ، ورام الله ، والباقة الغربية ، والنقب وغيرها . وقد تخلل ورشات التدريب فرص للنقاش ودراسة حالات ومواقف معينة تتعلق بالعنف الزوجي ، ليكتسب المشاركون خبرة عملية في فهم ظاهرة العنف هذه والتعامل معها بشكل عملي واقعي ، ولينضاف هذا إلى خبراتهم الواسعة في العديد من الجوانب الاجتماعية التي يمارسونها منذ سنوات عبر مؤسستهم .

وكان من جملة العناصر الرئيسية لهذا التدريب الجوانب الآتية :

- ✓ طبيعة العنف الأسري/ الزوجي
- ✓ علامات العنف الزوجي
- ✓ تحرير المفاهيم الإسلامية حول الموضوع
- ✓ خرافات وحقائق عن العنف الزوجي
- ✓ الأسباب وعوامل الخطر
- ✓ الجانب الثقافي والديني للعنف الزوجي
- ✓ الجانب القانوني والقضائي للعنف الزوجي
- ✓ دورة العنف الزوجي
- ✓ لماذا كثيراً ما تبقى الضحية صامتة ؟
- ✓ تأثير العنف الأسري على الأولاد
- ✓ الآثار النفسية على الضحية
- ✓ التعامل مع العنف الزوجي
- ✓ الإرشاد النفسي وخطة الأمان للضحية
- ✓ الوقاية من العنف الزوجي
- ✓ التعامل مع المعتدي المرتكب للعنف الزوجي

وإن مما يمكن أن تقوم به مؤسسة برامج الطفولة المبكرة في موضوع العنف الزوجي من مشاريع مستقبلية الأمور الآتية :

– حملات التوعية العامة للحدّ من انتشار ظاهرة العنف الزوجي ، من محاضرات ونشرات وتغطية إعلامية

– دورات تدريبية للزوجات من ضحايا العنف الزوجي

– دورات تدريبية للأزواج الذين يستعملون العنف كوسيلة للتعامل مع زوجاتهم

– تدريب فتية وفتيات المدارس والمعاهد للحدّ من هذه الظاهرة

– تدريب العاملين في مجالات الصحة النفسية والعمل الاجتماعي لرفع التنبه لظاهرة العنف الزوجي والتعامل معها

النتيجة والخلاصة :

تتعقد مظاهر المشكلات الاجتماعية في كل مجتمع ، وتزداد حدة هذه المشكلات في المجتمعات الواقعة تحت الاحتلال أو التي تتعرض للصراعات والنـــزاعات على الأرض والهوية ، ومنها طبعاً المجتمع الفلسطيني في كافة مناطقه المختلفة .

وتقوم الكثير من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بالكثير من الأعمال الجليلة في المجتمع الفلسطيني ، إلا أن معاينة الواقع عن كثب يشير إلى قلة عدد هذه المؤسسات ، أو ضعف تواصلها وتكاملها ، أو ضعف إمكاناتها وقدراتها على مواجهة الكمّ الهائل من المشكلات والتحديات الاجتماعية ، ومنها العنف الأسري .

والأمل معقود في جهود كل هذه المؤسسات ، ومن خلال التدريب والتطوير والتحديث ، على تجاوز ثغراتها وتطوير أنفسها لتعيد للهوية الفلسطينية الغنيّة تميّزها وتماسكها التي عرفت بهما خلال التاريخ الطويل .

قائمة المراجع متوفرة لمن يطلبها من المؤلف على mobayed@hotmail.com